الفاجعة القطبية

حكاية الرحلة — حلول الفاجعة — نجدة الرواد

فقد الرائد امندصن

ليست الفاجعة التي حلّت بالبلون « ايطاليا » اولى الفاجعات التي حلّت برواد القطبين ولا اخراها . ولكنّ العالم المتمدن شعر بقربها من ابوابه لان ابناءهُ كانوا يطّلعون كلّ ساعة من ساعات النهار والليل على انباء الروّاد وقد وقعوا في تيهة الجليد والشجعان الذين هبوا الى نجدتهم وما قام في وجوههم من المصاعب والعقبات. لقد ادرك الهلاك قبلاً الكبتن سكوت الانكليزي ورفاقهُ في الاصقاع المتجمدة الجنوبية . ولكن خبر هلاكهم لم يبلغ آذان الناس قبل انقضاء بضعة اشهر على تلك الفاجعة الاليمة. على ان المخاطبات اللاسلكية التي اتقنت بعد فاجعة سكوت قلبت ريادة القطبين والاصقاع المتجمدة رأساً على عقب ومكنت ابناء الامم المتمدنة من ان يشتركوا مع الروّاد في الطرب لانتصارهم والوجل لما يحلّ بهم من الحادثات

واذا صرفنا نظرنا عن الشجاعة التي ابداها رجال البلون « ايطاليا » في اقتحام اسرار الاصقاع المتجمدة والاقدام الذي دفع رجال الامم المختلفة الى نجدتهم رأينا في حديث هذه الرحلة القطبية امتحاناً لثلاثة من اهم المخترعات الحديثة — تزيد البلون والطيارة والآلة اللاسلكية

فطيران البلون « ايطاليا » من ايطاليا الى جزيرة سبتسبرجن ومنها الى القطب وما حواليه من الاصقاع المتجمدة اظهر للعلماء والمستنبطين مواطن القوة والضعف في آلة اخف من الهواء

اذ قد ثبت من هذه الرحلة ان استكشاف المجاهل بهذا النوع من وسائل الطيران يمكن ان يكون سريعاً وشاملاً في آن واحد ولكنهُ يعرّض الرجال الذين يقدمون عليه لاخطار كبيرة . ونتيجة الرحلة تجلو كثيراً من غوامض المسألة التي عني العلماء بدرسها وهي مسألة المواصلات الجوية بين اوربا واسيا من جهة وشمالي اميركا من جهة اخرى فوق القطب الشمالي

ولو لم يصحب طيران البلون « ايطاليا » فقدُ الرائد « امندصن » وصحبه لكان

انتصار « البلون » « والطيارة » في اعمال الريادة والاستكشاف والنجدة كبيراً ولفاقت الطيارة البلون في ذلك لان الطيارين قاموا بعمل كاد يحسب مستحيلاً . ذلك انهم اهتدوا الى مقرّ الجنرال نوبلي ورفاقه في مساحة شاسعة من الاصقاع المتجمدة يكاد يضيع فيها الجبل الشامخ . ولكن ضياع امندصن واضطرار بعض الطيارين الى النزول على سطح الجليد رغماً عنهم لخلل حلّ بطياراتهم يشيران الى ان الطيارات لا تزال تحتاج الى كثير من الاصلاح والاتقان لكي تصبح اداة للمواصلات يصحّ الاعتماد عليها

ومع ذلك لولا اتقان المخابرات اللاسلكية لكان جهاد الطيارين لتخليص رفاقهم ضاع عبثاً ولبقي روّاد البلون « ايطاليا » في قبضة الجليد الى ان تحين منيّتهم ولظلّ الناس في امر فقدهم امام سرّ يتعذر الكشف عنهُ

ولكن وراء الطيارات والبلون والآلة اللاسلكية تقوم شجاعة الرجال ومروءتهم واقدامهم على اقتحام المخاطر والاهوال . ومهما تكن نتيجة الجدال العنيف الذي احتدم حول اسباب الفاجعة وتصرف المسؤولين فيها فلا ريب ان اظهر مظاهر الرحلة هي تلك الشجاعة التي جعلت اقاصيص الاقدمين عن شجاعتهم خرافات يرجح فيها جانب الخيال على جانب الحقيقة

قيام البعثة

لم تشرع بعثة من بعثات الاستكشاف عملها بمثل ما شرعت به بعثة الجنرال نوبلي القطبية من التفاؤل وبوادر النجاح . فان مشروع الرحلة كان آية من آيات الوطنية الايطالية الجديدة والبلون ايطاليا الذي بُني في ايطاليا وصنعت كلّ معداته فيها جاء رمزاً بليغاً الى ايطاليا الجديدة التي خلقها موسوليني ونفخ فيها روح الحياة

لم يكن الجنرال نوبلي قد زاد الاصقاع المتجمدة الشمالية او الجنوبية فعرف مداخلها ومخارجها ومخاطرها كما كان يعرفها الروّاد امثال امندصن وشكلتن وسكوت وبيري . ولكنهُ صحب امندصن سنة ١٩٢٦ في البلون « نورج » الذي طار من جزيرة سبتسبرجن فوق القطب الشمالي الى الاسكا . ومع ان تلك الرحلة كانت موفقة في كل ما قصدت اليه رغم المخاطر التي تعرّض لها رجال البعثة اختلف الزعيمان — امندصن ونوبلي — في شؤون كثيرة اختلافاً ادّى الى احتدام نار الجدال بينهما على صفحات الجرائد . فاذكى هذا الاختلاف نار الحمية في صدر نوبلي وعزم حينئذٍ على ان يثبت للملأ ان في استطاعة ايطاليا ان تبني بلوزاً ايطاليًّا وتجهزهُ بالمعدات اللازمة والرجال الاكفاء

وتبعث به الى القطب الشمالي يستكشف ما يحيط به من الاصقاع المتجمدة

وصار نوبلي في اعداد معداته بعد ما لقي تأييداً من الحكومة والشعب فعمد الى استشارة كثيرين من الرواد والعلماء في اسوج ونروج والمانيا وغيرها من البلدان واتفق مع حكومة نروج على ان تأذن له في استعمال خليج الملك في سبتسبرجن مقراً للباخرة « شيتادي ميلانو » قاعدة لاعمال بعثته . وفي اوائل مارس الماضي كان قد تم بناء البلون وامتحانه وفي الساعة الثانية من صباح يوم ١٥ ابريل الماضي قام البلون برجال البعثة من ميلان قاصداً الى ستولب (في مقاطعة بومرانيا بالمانيا) ليجتاز اول مرحلة من رحلته الطويلة الشاقة الى سبتسبرجن . وكان البابا قد سلم ربانه صليباً معدنياً علوه ست اقدام لينصبه في القطب الشمالي مع الاعلام الايطالية المختلفة التي كان ينوي ان يقيمها هناك

كانت المرحلة الاولى من رحلة البلون « ايطاليا » اشارة بليغة الى ما حل بالبلون ورجاله من المصائب في الشمال بعدئذ . فانهم ما بلغوا جبال الكربات حتى هبت عليهم عاصفة شديدة قال عنها نوبلي انها اقوى من كل العواصف والرياح التي لقيها في الرحلة القطبية مع امندصن واشد منها خطراً . واصيب البلون ايطاليا بعطل كبير فتحطمت بعض آلاته واصيبت محركاته بما استلزم وقتاً طويلا لاصلاحها . وزد على ذلك تعطلت الآلة اللاسلكية حيناً من الزمن فاضطر نوبلي ان يلبث في الجو ردحاً لا يدري مسيره ولا مصيره في جو مستطير متلبد بالغيوم

ولما وصل البلون الى ستولب اخذ رجاله يصلحون ما يلزم اصلاحه فيه ولكنهم تأخروا لاضافة بعض المعدات التي رأوها لازمة له ولكي يفسحوا للباخرة « شيتادي ميلانو » وقتاً كافياً حتى تصل الى خليج الملك بسبتسبرجن . وفي هذه الاثناء كان الكابتن ولكنز الاسترالي قد طار بطيارته من الاسكا الى سبتسبرجن وكان الفصل الذي تسهل فيه زيادة الاصقاع المتجمدة الشمالية لصفاء الجو فيه آخذاً في الانقضاء . وبعد ما قضوا ما يزيد على اسبوعين في بلدة ستولب قاموا منها صباح اليوم الثالث من شهر مايو مع انهم كانوا في برنامج خطتهم الاول ينوون ان يكونوا حائمين حول القطب في ذلك التاريخ . . . وكانت طية البلون بلدة قادسو في شمالي نروج حيث نزل البلون نورج سنة ١٩٢٦ قبل رحلته الاخيرة الى سبتسبرجن . ولكن الجنرال نوبلي في هذه المرحلة ايضاً اضاع اتجاهه حينما صار فوق القسم الشمالي من فنلندا لتلبد الغيوم وكثافة

الضباب فاضاع بضع ساعات من الطيران بحثاً قبلما تمكن ثانية من الاتجاه الى ستوكهلم التي بلغها حوالي الظهر فحام فوق احدى ضواحيها ليمكن الاستاذ ملفرن من القاء رسالة صغيرة الى والدته . ولما بلغ البلون بلدة ڤادسو وُجد ان غلافهُ كان قد مُزّق في غير مكان واحد وان هيكلهُ المعدني يحتاج الى التقوية قبل استئناف الطيران ومع ذلك استأنف الجنرال نوبلي الطيران في صباح اليوم التالي فبلغ خليج الملك في سبتسبرجن سالماً رغماً عن عاصفة من الثلج ورياح شديدة هبت في وجهه

وانقضت بضعة ايام قبلما تمكنت البعثة من استئناف عملها كان لا بدَّ من انقضائها لاصلاح غلاف البلون وآلاته . ولكن الجنرال نوبلي كان لا يزال شديد الثقة بإتمام العمل الذي ندب نفسهُ لاتمامه . وقد قال حينئذٍ « ان البلون ايطاليا قد تخطى الآن اكثر المراحل خطراً . وسنبدأ قريباً في تحقيق الغرض الاصلي من بعثتنا . ففي أسبوع واحد نأمل ان نعمل ما لم يعملهُ احد من قبل »

وكان قد استأجر ستة رجال من المشهورين بتصيد حيتان الانب لكي يربطهم بحبال ويدليهم من البلون الى سطح القطب فينصبوا فوقهُ صليب البابا والاعلام الايطالية لكنَّ هؤلاء لما رأوا تأخر البعثة في تنفيذ خطتها الاصلية نظراً الى ما اصاب البلون من العطل استقالوا من العمل الذي نُدبوا لهُ بعيد وصول البلون الى سبتسبرجن وحجتهم ان العمل اصبح شديد الخطر

وفي ١١ مايو اي بعد وصول البلون الى سبتسبرجن بخمسة ايام قام رجال البعثة في رحلتهم الاولى الى المناطق الشمالية وغايتهم ان يستكشفوا « ارض لنين » . ولكن البلون وصل الى « ارض فرنس جوزف » واضطرَّ أن يعود ادراجهُ لان الضباب كان كثيفاً مما جعل التقدم الى الامام محفوفاً بالخطر العظيم . ولما نزل الى الارض في خليج الملك صُدِم المحرك الذي في مؤخرته صدمة عطلتهُ وكادت تحطمهُ . وقبلما تمكن المهندسون من اصلاحه هبت عاصفة شديدة من الثلج نزعت سقف الدار التي بنيت لحفظ البلون ولولا الشجاعة النادرة التي بذلها رجال البعثة لكان تحطم تحت ثقل الثلج الذي سقط عليه

وفي ١٥ مايو قام نوبلي وصحبهُ ثانية قاصدين الى ارض لنين ولا يعلم حتى الآن ماذا رأوا منها لان الضباب كان كثيفاً . ولكن يقال ان بعض رجال البعثة صوروا نحو مائتي صورة ونحو ٥٠٠ قدم من الفلم ودونوا ارصاداً جوية كثيرة . واثبتوا

ان لا وجود لجزيرة غلس التي اختلف العلماء في مسألة وجودها وعدمه

وانقضت ايام بعد عودتهم من هذه الرحلة هبت فيها العواصف فمنعتهم من الطيران ثانية قبل صباح ٢٣ مايو فساروا حينئذٍ محاذين لخط الطول ٢٤ متجهين الى القطب فبلغوه بعيد منتصف الليل في ٢٤ مايو وثبت لهم حينئذٍ ان النزول بالبلون الى القطب متعذر الآن — وقد يبقى متعذراً الى ما شاء الله

وبقي البلون ايطاليا محوّماً فوق القطب نحو ساعتين تقل بعدها راجعاً الى خليج الملك ، وبقيت رسائله اللاسلكية تذيع للعالم اذاعة منتظمة نبأ الفوز العظيم . ولكن الآلة اللاسلكية صمتت قبيل الفجر ووقف الناس ينتظرون بوجل نهاية هذا الصمت المخيف . ثم اذيع ان بعض المحطات اللاسلكية في سان فرنسسكو التقطت الحروف S. O. S. وهي الحروف المتفق عليها بين كل الامم على طلب الغوث لماخرات البحر والجوّ . أين البلون ايطاليا ، وماذا حلّ برجاله ؟ وهل هم احياء ؟ اسئلة لم تنجل الا يوم الجمعة في ٨ يونيو اي بعد انقضاء اسبوعين كاملين على ضياع اثرهم

الفاجعة

ويستطاع جمع حديث الفاجعة من اقوال الرجال الذين نجوا من الهلاك مع انها اقوال معثرة . فقد قيل ان نوبيلي ترك الريح تدفع البلون على غير هدى لكي يستكشف ارضاً جديداً . ولكن يظهر ان حرج الموقف لم يتجلّ لربان البلون وقائد البعثة الا قبيل وقوع الفاجعة لان الآلات كانت منتظمة العمل ولم تقف عن عملها الا حين أوقعت . وحينئذٍ بدأ الجليد يتكون على غلاف البلون وبعض اجزائه . وقد وصف نوبيلي حلول الفاجعة بقوله : كنا في الساعة العاشرة من صباح ٢٥ مايو سائرين في جوّ معتدل على ارتفاع ١٥٠٠ قدم واذا بالبلون قد اخذ يثقل ويهبط هبوطاً سريعاً لم تتمكن من منعه بكل الوسائل الهندسية المعروفة وفي اقل من دقيقتين اصطدم بالجليد فانبترت الغرفة المتصلة بالبلون من جانبه الاسفل فخفّ وزنه فارتفع ودفعته الريح في اتجاه شرقي . وكل الذين كانوا في هذه الغرفة حال حدوث الاصطدام لم يسترجعوا رشدهم الا ووجدوا انفسهم على سطح ركام من الجليد ولكن على انقاض آمالهم الضائعة